مهمة بلا أوامر

محمود سالم

مهمة بلا أوامر

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

مهمة بلا أوامر

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٧٧٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
جزر الكناريا ... ورسالة لم تَصِل!	١١
مصيدة ... على ارتفاع ٢٠ ألف قدم!	١٥
الهبوط وسط الغابات!	١٩
الهدف ... الفتاة «كاتي»!	٢٣
طائر الرخ ... والحمولة البشرية!	٢٧
ذو الوجه القبيح!	٢٩
غابة الموت!	٣٧
فرسان القرون الوسطى!	٤٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

جزر الكناريا ... ورسالة لم تَصِل!

كان نهارُ ذلك اليوم رائعًا ... فقد تمدَّد «أحمد» و«عثمان» فوق كراسي الشاطئ الطويلة المتناثرة على شاطئ بلاج «لاس بالماس» في جزيرة «جراند كاناريا»، وهي إحدى جُزُر الكناريا الواقعة في شمال المحيط الأطلنطي. كان المشهد ساحرًا أمام الشياطين؛ فالمياه الزرقاء للشاطئ تمتدُّ إلى نهاية الأفق، والرمال الصفراء اللامعة مثل الذهب تفرش الأرض تحت أقدامهم ... على حين امتلأ الشاطئ بالمصطافين من كلِّ جنسيات العالم ...

وبرز من قلب الماء «خالد» وقد ظهرَت البهجة على ملامحه بعد أن مارس السباحة لمسافة طويلة لتنشيط عضلاته ودفْع الدورة الدموية إلى عروقه ... ومن خلف الخيام المقامة إلى الخلف ظهرَت «إلهام» و«ريما» وهما تحملان صينية تحتوي على مجموعة من الساندوتشات وعُلَب العصير المثلجة ... وسرعان ما التمَّ شملُ الشياطين الخمسة حول الساندوتشات اللذيذة، والعصير المثلَّج ... وأنهى «عثمان» نصيبَه من الطعام سريعًا، واسترخى فوق كرسيِّ الشاطئ بكسلٍ وهو يقول: يا لَها من إجازة لذيذة لم نحصل عليها منذ وقتٍ طويل!

أحمد: هذه الجزر رائعة! لم أكن أظنُّ أن مثلَ هذا الجمال موجودٌ فوق تلك البقعة من المحيط!

وضحك «خالد» وهو يقول: أما أنا فلم أكن أعرف أن لها وجودًا في هذا العالَم إلا فوق الخرائط وكُتُب الجغرافيا!

وقال «عثمان»: من العجيب أننا وبرغم كونِنا في أواخر شهر نوفمبر فإن الجوَّ هنا دافئٌ جدًّا!

أحمد: هذا لأن مناخَ الجزر أشبهُ بالمناخ الأفريقي ... وعلماء الجغرافيا يقولون إن هذه الجزر كانت جزءًا من أفريقيا ثم انفصلَت عنها منذ وقت طويل.

قالت «إلهام» مفكرةً: من المدهش أن هذه الجزر العشر تبعد عن شواطئ إسبانيا بمسافة ألفَي كيلومتر، ولكنها تابعةٌ سياسيًّا لها، في حين أنها لا تبعد جزءًا على عشرة من هذه المساحة من شواطئ المغرب.

قال «أحمد» باسمًا: لقد حصل عليها الإسبان أولًا.

ودار بعينَيه في السابحين حوله، وقال بصوتٍ يَشِي بشيء من الضيق: كنت أتمنَّى لو شاركَنا بقيةُ الشياطين الـ «١٣» في هذه الإجازة الرائعة …

زمَّ «خالد» جبينَه مفكِّرًا وقال: لقد تعجبتُ عندما رفض رقم «صفر» أن يقضيَ الشياطين جميعُهم إجازتَهم في جُزُر «الكناريا» واقترحَ أن نقضيَ نحن الخمسة إجازتَنا هنا في حين يقضيها بقيةُ الشياطين في مكان آخر!

ريما: لعل ذلك كان بدافع الأمن من رقم «صفر» … إن وجود الشياطين معًا في إجازة بمكان بعيد ربما يكون فيه بعض الخطر علينا … ورقم «صفر» لا يحتمل فكرة تعرضنا لأيِّ خطر.

إلهام: ربما تكونين محقةً في ذلك لو لم يقضِ الشياطين إجازتَهم معًا من قبل … وسادَت لحظةُ صمت، وتطلَّع الشياطين الأربعة إلى «إلهام» في تساؤل عبَّرَت عنه عيونهم، وقالت «إلهام» ببطء: إن هناك شيئًا لم يُفصح عنه رقم «صفر»!

انفجر «أحمد» ضاحكًا وهو يقول: إنكِ تُصرِّين منذ بدْءِ إجازتِنا على أن هناك شيئًا ما يُخفيه عنَّا رقم «صفر»، أو أن هناك شيئًا ما يدور حولنا … ولو استمعنا إليكِ ما تمتعنا برحلتنا لحظة واحدة، ولظللنا نُراقب الذاهبين والعائدين طوال الوقت …

عادَت «إلهام» تقول بإصرار: أليس من العجيب أن رقم «صفر» لم يتصل بنا ولا مرة منذ وصولنا إلى هذه الجزيرة منذ أسبوع؟!

قال «خالد» محتجًّا: وماذا في ذلك؟ إننا في إجازة، ويفترض أنه لا مهمة تشغلنا، فما الذي يدعو رقم «صفر» للاتصال بنا؟

ردَّت «إلهام» بابتسامة صغيرة: ولكن رقم «صفر» كان دائمَ الاتصال بنا في كل إجازاتنا السابقة … أليس كذلك؟

كانت «إلهام» محقة، فإن رقم «صفر» لم يكن يتوقَّف عن الاتصال بهم والاطمئنان عليهم وإطلاعهم على آخر الأمور حتى وهم يقضون إجازاتهم السابقة.

نهض «أحمد» من مقعده فبدَا جسدُه القويُّ المتناسق، وقال باسمًا: لم يتبقَّ لنا سوى ساعات فوق هذه الشواطئ الرائعة، ومن الأفضل قضاؤها في المياه اللذيذة.

وأسرع نحو الماء بخطواتٍ رشيقة، فتَبِعه «عثمان» و«خالد»، وسرعان ما كان ثلاثتُهم يَسْبَحون بقوة ونشاط في صفٍّ متوازٍ وقد بدوَا في قلب الماء كثلاثة تماسيح بشرية لا يمكن لعَقبةٍ أن تقفَ في طريقها.

راقبَت «إلهام» زملاءَها الثلاثة بصمت، والتفتَت إليها «ريما» باسمةً وهي تقول: لو كنتِ استمعتِ إلى نصيحة «أحمد» ما شغلتِ نفسَكِ طوالَ الإجازة.

هزَّت «إلهام» كتفَها قائلةً: لعلني كنت مخطئة ... ربما كان «أحمد» معه حقٌّ.

قالَت «ريما» وقد تألَّقت عيناها: لقد فاتتك رحلة الأمس إلى الجبل خارج العاصمة «لاس بالماس» ... إن الطريق إليه يُشبه الصعود إلى جبال لبنان ... أما عند الوصول إلى قمته فإن المشهد من هناك يبدو رائعًا ... في غاية الجمال؛ فارتفاع الجبل يُتيح لَمن يرتقيه أن يشاهدَ أرضَ الجزيرة بالكامل وقد أحاطَت بها المياه من كلِّ جانب فتبدو الجزيرة كما لو كانت زرقاء وسط المحيط الشاسع.

تنهَّدَت «إلهام» بصمت، وتذكَّرَت كيف قضَت نهارَ الأمس بالكامل في حجرتها بالفندق في انتظار رسالة من رقم «صفر» ... ولكن الرسالة لم تَجئْ وضاع عليها مرافقةُ الشياطين الأربعة في رحلتهم ...

نهضَت «إلهام» وهي تقول: سأذهب لإعداد حقائبنا للسفر فلم تبقَ سوى ساعات قليلة على مغادرتنا هذا المكان ...

وتنهَّدَت وهي تقول: لكَمْ أتمنَّى لو عُدتُ إلى هنا مرة أخرى!

انفجرَت «ريما» ضاحكةً وهي تقول: بشرط ألَّا تنتظري رسالةً أخرى من رقم «صفر»!

ابتسمَت «إلهام» واستدارَت مع «ريما» نحو الفندق الصغير والذي كان يشغل مساحةً واسعة من الأرض من الخلف ولا يزيد ارتفاعُه عن طابق واحد شأن فنادق الشاطئ الحديثة، وتساءلَت «ريما»: هل قمتِ بحجز تذاكر الطائرة لنا؟

إلهام: نعم ... لقد حجزتُ خمسَ تذاكر على الخطوط الجوية المصرية إلى القاهرة مباشرةً.

ريما: أظنُّ أن بقية الشياطين الـ «١٣» سيعودون في نفس توقيت عودتنا ... ولا شك أن كلًّا منَّا سيكون لديه الكثير مما يحكيه للآخرين.

قالت «إلهام»: أما أنا فلن أجد ما أَصِفه لهم سوى جدران حجرتي في الفندق وأنا جالسة بالساعات في انتظار رسالة رقم «صفر» التي لم تأتِ أبدًا.

وراحَت تضحك بسرور و«ريما» تشاركها ضحكتها حتى غابتَا داخل الفندق. بينما استغرق الشياطين الثلاثة «أحمد» و«عثمان» و«خالد» ساعة كاملة في السباحة بنشاط،

وتسابق ثلاثتُهم ففاز كلٌّ منهم بأحد الأشواط ... وأخيرًا اتجهوا خارجين من الماء وقد نبضَت عضلاتُهم بالنشاط وارتسمَت ابتسامةُ سرورٍ فوق وجوههم ... لقد كانت رحلة وإجازة رائعتَين حقًّا ...

وفي مدخل الفندق استقبلَتهم «إلهام» و«ريما» ... واندهش الشياطين الثلاثة من نظرة الفتاتين التي ارتسمَت على وجهَيهما ... وهتف «أحمد» متسائلًا بقلق: «إلهام» ... «ريما» ... ماذا حدث؟ مدَّت «إلهام» يدَها وبها خمس تذاكر من تذاكر الطائرات إلى «أحمد»، وتأمل «أحمد» التذاكر بدهشة ثم رفع عينَيه وقال متسائلًا: هذه تذاكر الخطوط الإسبانية ... كنت أظنُّ أننا حجزنا كان على الخطوط المصرية؟!

ردَّت «إلهام»: هذا صحيح. لقد حجزنا أماكن لنا على الخطوط المصرية ولكني وجدت بدلًا منها هذه التذاكر في حجرتي!

ضاقَت عينَا «عثمان» وهو يتساءل: تقصدين ...؟!

ردَّت «إلهام» بابتسامة ظريفة: يبدو أن رقم «صفر» قد تذكَّرنا أخيرًا!

مصيدة ... على ارتفاع ٢٠ ألف قدم!

أعلن الميكروفون الداخلي في المطار عن قيام رحلة طائرة الخطوط الجوية الإسبانية رقم «٣٤٠» المتجهة إلى «هونج كونج» والتي ستتوقف لمرة واحدة في القاهرة لإنزال ركاب القاهرة والتزود بالوقود قبل أن تُواصلَ رحلتَها الطويلة إلى الميناء الشهير ...

أنهى الشياطين إجراءَاتِهم الجمركية في يسرٍ، لم يكن معهم سوى ملابسهم الخاصة، وبعض الأسلحة الدقيقة المخبَّأة بطريقة لا يمكن لأيِّ جهاز كشْف في العالم أن يكتشفها أبدًا؛ فقد أنتجَتها أبرعُ العقول والعلماء.

واستقر الشياطين الخمسة في صفَّين متتاليَين من طائرة الجامبو العريضة التي صَعِد إليها ما يزيد عن ثلاثمائة راكب ... «إلهام» و«ريما» في المقعد الأمامي ... وعثمان و«خالد» و«أحمد» في المقعد الخلفي. وأخيرًا درجَت الطائرة الضخمة فوق أرض المطار، ثم ارتفعَت بمقدمتها واندفعَت بسرعة تشقُّ الفضاء، وفي وقت قصير كانت قد استقرَّت فوق ارتفاع ثلاثين ألف قدم، وقد ظهر البحر الأبيض المتوسط تحتها مثل بحيرة ماء زرقاء أخَّاذة اللون ... على حين انتشر ضبابٌ خفيف حول الطائرة ... وفي الأفق ظهر قرصُ الشمس الغارب مثل كرة من الدم الملتهب، أخذ يسقط خلف البحر كما لو كان ينوي الانتحار ببطء ذائبًا في قلب المياه ...

تأمَّلَت «إلهام» قرصَ الشمس الغارب بعينَين منبهرةً حتى أكمل غروبَه في الأفق وقد ترك مكانه بركةً من الأضواء الحمراء الدامية. تنهَّدَت «إلهام» بإعجاب قائلةً: يا لَه من مشهد فاتن!

قالت «ريما» ضاحكةً: هل أصبحتِ شاعرة؟!

إلهام: قد تكون طبيعةُ عملِنا القتال ومجابهة الأعداء واستخدام الأسلحة، ولكنَّ هذا كلَّه لا ينزع من الإنسان صفاتِه الفطرية.

ارتسمَت ابتسامةٌ واسعة فوق شفتَي «ريما» وهي تقول: كنت أظنكِ ستُحدِّثينَني عن رسالة رقم «صفر» وليس عن شاعرية غروب الشمس!

رمقَت «إلهام» «ريما» لحظةً وقد ظهر عليها أن كلماتِها قد أعادَتها إلى أرض الواقع، وتساءلَت «ريما» باهتمام: هل تظنين أن رقم «صفر» يقصد شيئًا معينًا بتغيير الطائرة التي نعود بها من رحلتنا؟

إلهام: مَن يدري ما الذي يفكر فيه رقم «صفر»؟ إنني في أحيان كثيرة لا أفهم سرَّ تصرفاته ... ولكن في النهاية تبدو الحكمة الكامنة خلف كلِّ عمل يقوم به.

– إذن فأنتِ تعتقدين أن تغييرَ رحلتنا وطائرتنا عملٌ مقصود من رقم «صفر»؟

– هذا لا شك فيه!

تساءلَت «ريما»: وهل وصلت إلى غرض رقم «صفر» بعد كلِّ هذا الانتظار من جانبنا بدون أن يُرسل إلينا برسالة واحدة، وفي النهاية تكون رسالته هي تغيير طائرتنا بدون حتى أن يُخبرَنا بالسبب أو يحاول الاتصال بنا؟

ردَّت «إلهام» بحيرة: إن المسألة تبدو غامضةً بالفعل؛ فما الفارق في أن نَصِل إلى القاهرة في طائرة تابعة للخطوط المصرية أو الخطوط الإسبانية إذا كنَّا سنصل في النهاية إلى نفس المكان؟!

قالت «إلهام» مفكرةً: لعلنا كنَّا سنتعرض لخطر ما؛ لذلك أراد رقم «صفر» إبعادَنا عن هذا الخطر بتغيير طائرتنا.

– ومنذ متى كان رقم «صفر» يخشى علينا من الأخطار؟! إن عملَنا هو اقتحام هذه الأخطار وليس تحاشيها.

ونظرَت «إلهام» إلى «ريما» مؤكدةً، وظهرت حيرةٌ قليلة على وجه «ريما»، وقالت بصوت خفيض حائر: إذن ماذا يقصد رقم «صفر» بتغيير طائرتنا؟ إن المسألة تبدو محيرة تمامًا!

أغمض «عثمان» عينَيه وبدَا عليه كأنه مستغرقٌ في النوم، وما إن هتف «أحمد» باسمه حتى فتح الشيطان الأسمر عينَيه على الفور وبدَت عليه اليقظة تمامًا.

تساءل «أحمد»: هل نمت؟

عثمان: وكيف يمكنني أن أنام وأنا أفكر في هذه المسألة العجيبة؟!

أحمد: هل تقصد تغيير طائرتنا المتجهة بنا إلى القاهرة؟

عثمان: نعم ... لكني لا أتصور أن تغيير الطائرة كان نتيجة الصدفة.

ردَّ «أحمد» مفكرًا: بالطبع لا يمكن لأحد أن يقول إن هذا التصرف كان محضَ الصدفة ... إن رقم «صفر» يقصد ولا شك شيئًا معينًا ...

قال «عثمان» بقلق: إن ما يُحيرني هو عدم وصول أية رسالة من رقم «صفر» خلال إجازتنا! إن المسألة غير عادية بالفعل كما قالت «إلهام» ... لقد كانت محقةً في شكوكها.

واشترك «خالد» في الحديث قائلًا بوجه مقطب: لماذا لا نكون قد تعرَّضنا لخدعة كبرى؟!

حدَّق «عثمان» و«أحمد» بدون أن يفهما مقصده، وأكمل «خالد» ببطء وبنفس النظرة المقطبة: لقد تقبلنا فكرةَ أن رقم «صفر» هو الذي بدَّل تذاكر الطيران بدون أن نشكَّ أو نفكر في معنى ذلك ... في حين أن الأمر قد يكون خارجًا عن يد رقم «صفر» تمامًا.

هتف «عثمان» بعينَين واسعتَين: هل تقصد أنَّ شخصًا ما غيَّر تذاكرَنا بغرض إيهامنا بأن رقم «صفر» هو الذي قام بذلك؟!

خالد: إن هذا الاحتمال يبدو أقربَ إلى المنطق خاصةً وأنه لو كان رقم «صفر» هو الذي بدَّل الطائرة لكان قد أرفق ذلك برسالة يشرح فيها مقصده.

أحمد: إذا افترضنا صحةَ استنتاجك ... فمَن يكون ذلك الشخص الذي بدَّل التذاكر ... وما هو غرضه؟!

ردَّ «خالد»: هذا ما ستُجيب عنه الساعات القادمة.

قال «عثمان» باسمًا: يبدو أن عدوى الشك والقلق قد انتقلَت إلينا من «إلهام»، فصِرْنا نشك في كل ما يمر بنا من أحداث.

قال «أحمد» بجدية شديدة: إن المسألة تبدو غامضةً بالفعل ... إن هناك شيئًا يجري في الخفاء وأحسُّ به ولكني لا أستطيع التكهن به. وتطلَّع حوله بنظرة مليئة بالريب والشك وهو يقول: من الأفضل لنا التيقظ والاحتياط حتى لا نُفاجأ بأيِّ عمل.

تساءل «عثمان» بدهشة: ماذا تقصد بأي عمل؟

ردَّ «أحمد» في غموض: مَن يدري؟! إنني أحسُّ كأن هناك مصيدةً تجري في هذه الطائرة ... ومن المؤسف أن أحدًا منَّا لا يملك أيَّ سلاح عدا أسلحتنا السرية الدقيقة.

وأقبلت المضيفة الإسبانية لتوزِّع عليهم أكوابَ العصير والشطائر الخفيفة، وتردَّد «خالد» لحظة في التهامِ ما قدَّمَته المضيفة، فانفجر «عثمان» ضاحكًا وهو يقول: أتظن أن بهم سمًّا أو منومًا؟! إذا كنت تشكُّ في ذلك فاتركهم لي؛ لأنني جائع جدًّا والسموم لا تؤثر فيَّ!

ابتسم «خالد» و«أحمد»، وشرع الشياطين يتناولون شطائرهم في هدوء وصمت، وكان الوحيد منهم الذي يستطيع أن يراقب الممر في الطائرة هو «أحمد» الذي كان جالسًا في المقعد الثالث بجوار الممر ... ولم يكن هناك ما يريب ... فقد انهمك أغلب الركاب في الحديث بصوت خفيض، كما أسند البعض الآخر رأسه إلى مسند مقعده وأغمض عينَيه ... واتجه رجلٌ كهلٌ إلى دورة المياه بمساعدةِ أحدِ مضيفي الطائرة.

مرَّت دقائق وانتهى «عثمان» من الطعام والشراب، وتمطَّى في كسل قائلًا: سأُغمض عينيَّ ولن أفتحَهما إلا عند وصولنا إلى مطار القاهرة.

ولكنه كان مخطئًا في تفاؤله ... فما كاد يُغمض عينَيه حتى دوَّى صوتٌ زاعق في مؤخرة الطائرة ففتح عينَيه في دهشة بالغة ... وأطلَّت رءوسُ الركاب محملقةً نحو الصوت الزاعق العالي ...

وفي مؤخرة الطائرة كان الكهل العجوز الذي دخل دورة المياه منذ قليل واقفًا بعد أن أزاح شعره الأبيض المستعار، وبعد أن أخفى وجهه الحقيقي بقناع وقد أمسك في يده بمدفع سريع الطلقات وصاح بالإنجليزية بصوتٍ عالٍ وعيناه تتقدان شررًا: لا يتحرك أحدُكم من مكانه وإلَّا أطلقتُ عليه الرصاص!

وما كاد يُتمُّ عبارتَه حتى دوَّى صوتٌ آخر من مقدمة الطائرة، والتفتَ الركاب في ذعرٍ بالغ إلى الأمام، وفي مقدمة الطائرة ظهر ثلاثةُ مسلحين مقنَّعين، في أيديهم مسدسات وقنابل يدوية، وتقدَّم أحدُهم قائلًا: لقد اختطفنا الطائرة وهي تحت سيطرتنا ... وأية مقاومة تَعْني نسْفَ الطائرة على الفور!

والتفت الشياطين الخمسة إلى بعضهم، لقد وضح معنى رسالة رقم «صفر» أخيرًا!

الهبوط وسط الغابات!

تعالَت الصرخاتُ المفزعة وشهقات الرعب من الركاب، وكاد «عثمان» أن يندفع واقفًا في غضب، فأمسك «أحمد» بمعصمه بقوة هامسًا: انتظر يا «عثمان».

تراجع «عثمان» محاولًا كبْحَ ثورةِ غضبه، وقال «أحمد» بنفس الصوت الهامس: لننتظرْ ونرَ أهدافَهم. وعلَا صوتُ زعيم المختطفين في مقدمة الطائرة، وقال بالإنجليزية بصوت هادئ ممسكًا بمسدسه: إننا لا نريد بكم شرًّا ... لقد استولينا على الطائرة لغرضٍ لن نكشفَ عنه الآن ... وطالما ستظلون هادئين فلن يُصيبَكم أيُّ ضرر ... أما أية محاولة للمقاومة فستُواجَه بشيء واحد فقط. ولوَّح بمسدسه في رسالة تهديدية واضحة، حتى إن أغلب ركاب الطائرة انكمشوا في مقاعدهم هلعًا. وعاد زعيم المختطفين يقول: إننا نسيطر على الطائرة تمامًا وسوف نُرسل رسالةً باللاسلكي نُخبر فيها مطار القاهرة بأن الطائرة مختطفة.

صاح أحد الركاب في غضب شديد: أين ستأخذوننا أيها المجرمون؟

ومرَّت لحظة صمت، وقدحَت عينَا زعيمِ المختطفين بالشرر، وتقدَّم من الرجل الذي انكمش في مقعده وكاد «عثمان» أن يُصابَ بالجنون ويد «أحمد» قابضةٌ على معصمه، وهتف «عثمان» في «أحمد» بصوت متحشرج: دَعْني يا «أحمد»، إن هذا المجرم سيقتل الراكب.

تطلَّع «أحمد» إلى عينَي «عثمان» بقسوة قائلًا: قد تُنقذ الراكب من الموت ... ولكن قد يدفع كلُّ ركاب الطائرة حياتَهم ثمنًا لذلك ... إن معهم قنابلَ ومن الجنون مقاومتهم والطائرة على هذا الارتفاع ...

استكان «عثمان» وهدأ في مقعده، وأغمض عينَيه لا يريد أن يشاهد ما سيحدث للراكب ... وتوقَّف زعيم المختطفين أمام الراكب الذي انكمش رعبًا في مقعده وقد راح يرتعش

ويتساقط العرقُ من جبهته كالمطر ... وامتدَّت يدُ الزعيم لتضرب الراكب الذي تهاوَى فوق مقعده فاقدًا الوعي وقد سالت الدماء من مكان الضربة.

وقال زعيم المختطفين بصوت بارد: في المرة القادمة سيكون الردُّ بالرصاص ... إنني لا أحب الأشخاص الذين يُوجِّهون الأسئلة.

وتقدَّم اثنان من المختطِفين الذين تسلَّحوا بالمسدسات وقد أمسكَا بقنابل يدوية شديدة الانفجار ... كان انفجار أحدها يعني انفجارَ الطائرة وتدميرها ... وأخذ المختطفان يتفحصان الركاب وينظران في وجوههم ... كان من الواضح أنهما يبحثان عن شخص معين ... وانتهى المختطفان من مهمتهما، وكان واضحًا من نظراتهما أنهما عثرَا على بغيتهما، وإن لم يُفصحَا عن ذلك الشخص.

وتبادل المختطفون الأربعة حديثًا هامسًا، وهزَّ الزعيمُ رأسَه، ثم عاد المسلحون يتفرقون في الطائرة والركاب يتابعونهم بأبصارهم في رعب شديد.

راقبَت «إلهام» ما يجري أمامها في صمت ... وتطلَّعت إلى «ريما» بنظرة جامدة، فقالت «ريما»: يبدو أنك كنت على حقٍّ أن رقم «صفر» كان يعرف ما يفعله تمامًا ... لا شك أنه كان يعرف باختطاف هذه الطائرة مقدَّمًا؛ ولذلك بدَّل تذاكرَنا لنكون بداخل الطائرة المختطفة ... ولكن لماذا لم يُخبرنا بذلك مباشرةً ويُبلغنا بتعليماته؟!

إلهام: يبدو أنه يريدنا أن نتصرف من وحي اللحظة ... إنه يعلم أن أية تعليمات في مواجهة هذه الظروف قد تؤدي إلى فسادِ الأمرِ كلِّه ... لقد ترك المسألةَ بين أيدينا وترك لنا حريةَ التصرف.

هتفَت «ريما» باحتجاج وبصوتٍ خفيض: ولكن لماذا لم يُخبرنا بهذا الاختطاف أو يُخبر السلطات الإسبانية حتى يمكنَ القبضُ على المختطفين قبل صعودهم إلى الطائرة؟!

إلهام: يبدو أن غرض رقم «صفر» مختلفٌ هذه المرة ... إنه يريد لعملية الاختطاف أن تتمَّ.

حملقَت «ريما» في «إلهام» بدهشة وهتفَت محتجة: ماذا تقولين يا «إلهام»؟!

إلهام: إن رقم «صفر» متأكدٌ من أن المختطفين لن يُصيبوا الركابَ بأيِّ أذًى، ولا بد أنه يراهم سمكة صغيرة؛ ولذلك تركهم يختطفون الطائرة ليقودنا إلى الحوت الكبير!

ريما: أتقصدين أن هذه المجموعة الإرهابية تابعةٌ لمنظمة أكبر؟

إلهام: بالتأكيد ... ورقم «صفر» يريد منَّا الوصول إلى الرءوس الكبيرة وليس هؤلاء الإرهابيِّين الصغار، إن هذا يفسِّر عدمَ تسليحِه لنا أو إحاطتنا بالأمر من قبل ... إنه لا يريد أن نتدخَّل بل لنراقب الأمور في صمتٍ إلى النهاية.

تطلَّعَت «ريما» بدهشة إلى «إلهام»، وغاصَت في مقعدها مفكرةً، لقد كانت «إلهام» على حقٍّ في كلِّ كلمة قالَتها ... ووصل «أحمد» و«عثمان» و«خالد» إلى نفس الاستنتاج، وهمس «عثمان» متسائلًا: ولكن ما هو غرضُ المختطفين ... وماذا سيفعلون بالطائرة والركاب؟

أحمد: من الواضح أنهم يقصدون شخصًا معينًا في هذه الطائرة ... إنه الهدف من هذه العملية كلِّها.

عثمان: ونحن ... أقصد باقي ركاب الطائرة؟

– سيتركوننا في أقرب فرصة ...

– وأين سيهبطون في النهاية؟

– مَن يدري؟ إن مكان هبوطهم النهائي سيحدِّد وجهتَهم والمنظمة التي ينتمون إليها بلا شك.

وتوقَّف أحدُ المختطفين شاهرًا مدفعَه أمام الشياطين الثلاثة وتطلَّع نحوهم بوجهه الذي كان يُغطيه القناع فلا تظهر منه سوى عينَيه القاسيتَين، ولوَّح بمدفعه الرشاش في وجوه الشياطين وهو يقول بصوت أجش مهدِّدًا: إننا لا نحب مَن يتهامسون ويتآمرون ... وعادةً تُسكتهم رصاصاتُنا قبل أن يُتمُّوا مؤامراتِهم.

تطلَّع الشياطين الثلاثة إلى الرجل المسلح بصمت وغلَت الدماءُ في عروقهم ... ولكنهم كبحوا جماحَ مشاعرهم؛ فقد كانوا يعلمون أنهم مسئولون عن أرواح ما يزيد عن ثلاثمائة شخص، وأن التصرف العاقل هو أن يتقبَّلوا أية إهانة تُوجَّه إليهم ... إلى أن تحينَ ساعةُ الرد ...

وما أقسى الشياطين عندما يردُّون على مَن يُهينهم!

ظهرَت من أسفل أضواء ممرات الهبوط ... وشاهد الشياطين من نوافذ الطائرة العشرات من سيارات الإسعاف والشرطة والجيش تحيط بممر الهبوط ...

وجاء صوت زعيم المختطفين يقول: إننا نهبط في مطار قبرص ... سنتزود بالوقود ونواصل رحلتنا، وتذكَّروا أن أية مقاومة أو أية محاولة للهرب ومغادرة الطائرة ستُقابَل بالرصاص ... لقد أعلمنا المسئولين في مطار قبرص حتى يُزوِّدونا بالوقود بلا مشاكل، أما إذا حاولوا إظهار بطولتهم فإنكم جميعًا ستدفعون الثمن.

كان تهديدُ المختطفين واضحَ المعاني، واحتبسَت أنفاس الركاب وهم يشاهدون الطائرة تستقر في أرض المطار، وحمدوا ربهم أن رجال الشرطة والبوليس ظلوا في أماكنهم عن بُعد يحاصرون الطائرة بدون أن يحاولوا اقتحامها ...

وفي هدوء بدأَت سلطات المطار في تزويد الطائرة بالوقود ... وخلال ساعة واحدة كانت الطائرة تحلِّق في الفضاء إلى جهة مجهولة، بعد أن امتلأَت خزاناتُها بالوقود عن آخرها ... وظهرَت أنوارُ النهار ... وتطلَّعَت «إلهام» إلى قرص الشمس الوليد ... لم يكن المشهد شاعريًّا هذه المرة مع ما يجري داخل الطائرة؛ فقد انهار بعضُ الركاب وأصابَتهم هيستريا قابلها المختطفون بعنف، وتعالَى بكاءُ الأطفال وأُصيب عددٌ آخر بالإغماء، على حين انخرط البعض في بكاء متشنج ... وظهر الأسى في عينَي الشياطين ... لأول مرة يجدون أنفسهم عاجزين عن التدخل لحماية الأبرياء ودفعًا للشر المحيط بهم!

قال «خالد» وهو يجزُّ على أسنانه غاضبًا: أُقسم لأذيقنَّ هؤلاء المجرمين أضعافَ ما أذاقوه لهؤلاء الركاب المساكين ...

وأخيرًا بدأَت الطائرة تخفض من ارتفاعها وراحَت تحلِّق فوق بعض الغابات الكثيفة، وتطلَّع «عثمان» إلى «أحمد» متسائلًا بقلق شديد: أين نحن؟!

أحمد: أعتقد أننا في مكان ما على الحدود بين فيتنام وكمبوديا ... لقد حسبتُ ساعات الطيران وسرعة الطائرة فأمكنني الوصول إلى هذه النتيجة.

تساءل «خالد» في دهشة: ولكن أين ستهبط الطائرة؟! إن المنطقة مليئة بالغابات ويستحيل الهبوط بها ...

ولكنه كان مخطئًا في تصوُّره ... فقد انكشف تحتهم ممرٌّ هبوطٍ طويل، وكان من الصعب الاهتداء إليه وكشْفه إلا لمن يعرف مكانه، وبدَا الممرُّ وسط الغابات العالية كأنما أُقيم خصيصًا لهبوط الطائرة المختطفة!

الهدف ... الفتاة «كاتي»!

استقرَّت الطائرة فوق ممرِّ الهبوط الضيق وتوقَّفَت قبل نهايته بأمتار قليلة. وتأمل «خالد» ممرَّ الهبوط من النافذة القريبة منه ثم التفتَ إلى «أحمد» قائلًا: لقد كنت على حقٍّ يا «أحمد» ... إن هذا الممر أقامَته القوات الأمريكية لهبوط طائراتها وسط الغابات في منطقة الحدود بين فيتنام وكمبوديا لإخفائها عن عيون الثوار الفيتناميِّين.

أحمد: إذن بقيَ أن تعرف غرضَ المختطفين ... وأعتقد أنه لن يمرَّ الليل حتى ينكشفَ لنا كلُّ شيء ... وبلهجةٍ محذرة أكمل وهو ينظر لرفيقَيه: تذكَّرَا ... اضبطَا أعصابكما إلى أقصى درجة ... إن أرواح ثلاثمائة شخص مقيدةٌ إلى أعناقنا، فلا يجب أن نسعى إلى بطولة من نوع ما قبل أن نؤمِّنَ النجاةَ لركاب الطائرة.

ونقل «خالد» كلام «أحمد» إلى «إلهام» و«ريما» بصوت هامس فهزَّت الاثنتان رأسَيهما موافقتَين. وكان أغلب الركاب قد حلَّ بهم الجوع، وعلى الفور شرع مضيفو الطائرة في تقديم وجبة باردة صغيرة إلى كلِّ راكب تحت إشراف المختطفين. وبدَا على المختطفين أنهم ينتظرون وصولَ شيء ما ... كما كان من الواضح أيضًا أن أحدًا في العالم لا يعرف مصيرَ الطائرة المختطفة أو مكان هبوطها ... كما أن أحدًا لن يدور في ذهنه أن الطائرة حتى إذا ما تمَّ التقاطها فوق شاشات الرادار فإن أحدًا لن يفكرَ أنها ستهبط وسط الغابات.

التفت «عثمان» بغيظ إلى رفيقَيه قائلًا: لقد رتَّب هؤلاء المختطفون خطَّتَهم جيدًا.

أحمد: إن بعض المختطفين والإرهابيِّين يتلقَّون فنون الإرهاب في مدارس خاصة.

قال «خالد» بأسًى: هذا مؤسف جدًّا ... بل إن هناك بعضَ الدول تُقدِّم العون للإرهابيِّين وتسمح لهم باللجوء إليها والتدريب فيها.

وهبط الليل، وأحاط بالطائرة ظلامٌ كثيف في الخارج ... وبدأت أضواءُ الطائرة الداخلية تضعف مما دل على نفاد طاقتها الكهربية. هتف «عثمان» بعنف: يبدو أننا سنقضي ليلتَنا وسطَ الظلام. ردَّ «أحمد» وهو يراقب زعيم المختطفين: إنه نظر ثلاث نظرات إلى ساعته في وقت قليل ... إن هذا يدل على أن شيئًا سريعًا سيحدث الآن ...

وصح استنتاج «أحمد»؛ فقبل أن تمرَّ دقيقةٌ واحدة حتى ظهر ضوءُ مصباحَي سيارة جيب كبيرة تشقُّ الطريق وسط الأشجار متجهةً نحو الطائرة وتوقَّفَت أسفلها، وقفز منها أربعةُ أشخاص ذوي ملامح آسيوية بعضلاتٍ مفتولة وعيون تطلُّ منها القسوة والإجرام، وقد وضع كلٌّ منهم عددًا من السكاكين الطويلة حول وسطه في حزام عريض ... كانوا يحملون في أيديهم مجموعةً ضخمة من الحبال ... وانفتحَت أبوابُ الطائرة ليدخلَها الأشخاص الأربعة الذين تبادلوا كلماتٍ سريعةً مع المختطفين.

قال «أحمد» بعيون ضيقة وهو يراقب المختطفين وزملاءَهم: لقد بدأتُ أُدرك الخطوة التالية، سوف يُقيدوننا في مقاعدنا.

تساءل «خالد» بقلق: أَلن يُفرجوا عن الركاب؟!

أحمد: ليس قبل أن يُنهوا مهمَّتَهم.

وبالفعل شرع الأشخاص الأربعة ذوو الوجوه الآسيوية في تقييد الركاب في مقاعدهم ليضمنوا عدمَ مقاومتهم ... واستسلم الركاب في خوف ورعب ...

واقترب الأشخاص الأربعة من صفِّ «إلهام» و«ريما» ... وامتدَّت أيدي أحدِ الأربعة نحو «إلهام» في قسوة ليشدَّها بالحبال، وهتفَت «إلهام» متألمةً، فقهقه الرجل باستمتاع، ولم يتمالك «أحمد» نفسَه فاندفعَت قبضتُه بلا وعيٍ تجاه الرجل وضربَه ضربةً عنيفة على أثرها ترنَّح الرجل إلى الخلف متألمًا وأمسك بوجهه وهو يزأر كالثور، واندفع زملاؤه الثلاثة نحو «أحمد» وقد أخرج كلٌّ منهم سكينًا طويلًا كالسيف، وتأهب الشياطين الثلاثة لملاقاتهم، وعلى الفور أوقفَتهم كلماتُ زعيم المختطفين الذي تحدَّث بلغة غريبة خمَّن الشياطين أنها إحدى اللغات الآسيوية.

وتراجع الآسيويون الثلاثة كارهين، وأزاح الآسيوي الذي ضربه «أحمد» يدَه عن وجهه فظهر أنفُه محطَّمًا والدماء تسيل منه ... وارتعشَت يداه وهو يقبض على سكين طويل وقد وضح أنه سيدخل في معركة حميمة مع «أحمد» ... ولكن زعيم المختطفين أوقفه، وقال بلهجة باردة: إنه لك طالما ننتهي من عملنا ويصير ركاب الطائرة في مسئوليتكم.

جزَّ الرجلُ على أسنانه بصوت مسموع، وحدَّق أحمد بنظرة رهيبة، وشرع الأربعة يُتمُّون مهمَّتَهم في صمت، ومن حين لآخر كان الرجل ذو الأنف المحطم يوجِّه إلى «أحمد» نظرةً طويلة مليئة بالحقد والرغبة في الانتقام.

التفت «أحمد» إلى «عثمان» و«خالد» وقال بأسًى: أرجو أن تعذراني. لقد نصحتكما بضبط النفس وخالفتُ أنا النصيحة.

عثمان: إننا لا نلومك ... لقد سبقتَني إلى ما كنت أنوي أن أفعلَه ... سوف تكون معركتنا في النهاية معهم رهيبة.

هتف «خالد» بسخط: كيف تركناهم يُقيدوننا هكذا كأننا دجاجات مرعوبة؟!

أحمد: يجب ألَّا نُفصحَ عن هويتنا ... إننا مطالبون أن نظلَّ هادئين مثل بقية الركاب إلى أن نرى أين تمضي نهايةُ هذه اللعبة ... إنني أحسُّ أن وراءَها شيئًا خطيرًا سوف ينكشف حالًا ...

وأخيرًا انتهى الآسيويون الأربعة من ربط ركاب الطائرة ... ورفع المختطفون أيديَهم بعلامات النصر ... واتجه زعيمُهم إلى أحد المقاعد الأمامية وراح يتفرَّس في إحدى الراكبات ... وبهدوء أخذ يحلُّ وثاقَها ثم أوقفها من مقعدها ...

وتطلَّعَت إليه الفتاة بوجهٍ شاحب ... كانت في العشرين من عمرها ... ذات وجهٍ أشقر مليءٍ بالنمش، وشعرٍ بنيٍّ قصير، وعينَين بلون العشب الأخضر ...

أشار الزعيم إلى رجاله، وعلى الفور أحاطوا بالفتاة واقتادوها خارج الطائرة ...

هتف «عثمان» ذاهلًا: يا إلهي! كيف لم ألاحظ هذه الفتاة من قبل؟! إنها ابنةُ أحدِ المسئولين الكبار في إحدى دول المجموعة الأوروبية ... يبدو أن اختطاف الطائرة كان هدفُه منذ البداية هو الحصولَ على هذه الفتاة ...

تساءل «خالد» بدهشة: هل يرغبون في طلب فدية من والدها؟!

ردَّ «أحمد» بعينَين باردتَين ضيقتَين: إن الفدية هذه المرة من نوع آخر.

حدَّق «عثمان» و«خالد» في «أحمد» بدهشة، وأكمل «أحمد» بنفس اللهجة: لقد كنَّا مشغولين بسبب تغيير رقم «صفر» لتذاكر طائرتنا فلم نلاحظ الفتاة وإلا لاكتشفنا الأمر منذ البداية ... لقد شاهدتُ صورةَ هذه الفتاة ووالدها عندما زارَا بعض الدول العربية الصيف الماضي وتم عقدُ بعض الاتفاقيات المبدئية لمدِّ المصانع العربية بتكنولوجيا متطورة ... إنني أتذكر أن اسمها «كاتي» ... ويبدو أن أعداءنا لم يجدوا وسيلةً لنسف هذه الاتفاقيات إلا عن طريقِ خطفِ ابنةِ هذا المسئول الكبير بعد أن انتهَت رحلتُها على الشواطئ الإسبانية في جُزُر الكناريا وتهديده بقتلها إن لم يلغِ الاتفاقيات.

خالد: ولكن لماذا يتكبَّد المختطفون كلَّ هذه المشقة من أجل اختطافها؟! كان من السهل عليهم اختطافُ الفتاة على الشاطئ.

أحمد: لا ... لقد شاهدتُ الفتاةَ على الشاطئ وكان يُحيط بها خمسةٌ من الحراس الأشداء، لقد خطَّط المختطفون خطَّتَهم ببراعة وحصلوا على ورقة رابحة باختطاف الفتاة وهي في الطائرة بلا حراسة ...

تألَّقَت عينَا «خالد» وهو يقول: لقد وضعَنا رقم «صفر» في قلب الأحداث تمامًا.

أحمد: ولا أظن أننا بحاجة إلى تعليمات للتدخل في الأمر ...

تابع «خالد» من النافذة الصغيرة بجواره المختطفين الأربعة وهم يقودون الفتاة خارجًا ويقفون بها أمام السيارة الجيب، وتساءَل بقلق: أين سيأخذون الفتاة؟!

ردَّ «أحمد» بهدوء: إلى قلب الغابات حيث لا يمكن لمخلوق أن يعثرَ عليها أبدًا.

تبادل زعيم المختطفين مع الآسيوي ذي الأنف المحطَّم حديثًا خافتًا، وعاد ذو الأنف المحطم إلى الطائرة وبدَت في عينَيه وهو ينظر نحو «أحمد» أن الطائرة قد صارَت في قبضته ... وأن ساعة انتقامه قد حانت ... وأنه لم يتبقَّ سوى دقائق لتسديد انتقامه ... وبرزَت فوق رءوس الأشجار طائرة هليكوبتر كبيرة هبطَت أمام طائرة الجامبو ... ووضح كلُّ شيء أمام أعين الشياطين ... سوف يأخذ المختطفون الفتاة إلى مكان ما في قلب الغابات حيث لا يعثرُ عليها أحدٌ بعد ذلك أبدًا.

تألَّقَت عينَا «أحمد» وهتف بصوتٍ سرَى فيه النضال: لقد حان وقتُ تدخُّلِنا ... إما الآن أو يضيع كلُّ شيء. ومدَّ يدَيه محاولًا حلَّ قيوده، ولكن رباطه كان من الشدة بحيث يستحيل عليه قطْعُه أو حلُّه، وتقدَّم منه الآسيوي ذو الأنف المحطم ورمقَه بنظرة رهيبة ... ثم استلَّ سكينًا كبيرًا وهو ينظر إلى «أحمد» المقيد أمامه وهبط الآسيوي بالسكين في حقد نحو «أحمد».

طائر الرخ ... والحمولة البشرية!

قبل أن تسقط ذراع الآسيوي بالسكين الحاد نحو «أحمد»، تراجع «أحمد» بمقعده إلى الخلف قليلًا، وارتفعَت قدمُه اليمنى لتصدَّ ذراع الآسيوي تُوقفها في الهواء ... وبحركة خاطفة انطلقَت نفسُ القدَم لتُصيبَ الآسيويَّ بضربة هائلة أودعَها «أحمد» بكل قوته، فاندفع الرجل إلى الخلف مسافة متر وسقط على الأرض وقد تحطَّمت أسنانُه الأمامية لشدة الضربة. وعلى الفور اندفع الآسيويُّون الثلاثة نحو «أحمد» في جنون شاهرين سكاكينَهم ...

وأدرك «أحمد» سوءَ موقفه وهو مقيدٌ إلى المقعد، ولكن النجدة جاءت على غير انتظار؛ فقد حلَّت «إلهام» قيودَها بسرعة، وفي نفس اللحظة استدارَت لتُواجهَ أول المهاجمين، فصدَّت ضربتَه بالسكين بساعدها الأيسر، وبقبضتها اليمنى سدَّدَت ضربةً إلى الرجل فسقط على أثرها متكومًا ... بلا حَراك.

واندفع الآسيويان الآخران شاهرين سكاكينَهم نحوها في جنون، وتحاشَت «إلهام» السكينَ الأول المسدَّدَ لها، وما كادت تستدير حتى تعثَّرَت في رجلَي الآسيوي المحطَّم الأنف على الأرض فاختل توازنها لحظة واحدة ولكنها كانت كافيةً ليسدد لها الآسيوي الرابع سكينًا في سرعة خاطفة. ولكن اليد الممسكة بالسكين أوقفَتها في الهواء قوةٌ أكبر منها ... وحملق الآسيوي في «أحمد» الذي ما إن شاهد الخطر المحدق بـ «إلهام» حتى مزَّق قيوده كما لو كانت من الورق وامتدَّت قبضتُه في لحظة خاطفة لتقبضَ على ذراع الرجل.

وراح «أحمد» يُثني ذراع الرجل الممسكة بالسكين ... وأخذت السكين تتحرك قليلًا وشهق الرجل في النهاية وسقط على الأرض وهو يتلوَّى من الألم بجوار بقية زملائه ...

نهضَت «إلهام» من عثرتها وقالت لـ «أحمد» باسمةً: لقد أنقذتَ حياتي.

ردَّ عليها بابتسامةٍ أوسع: أنتِ فعلتيها قبلي ... إننا متعادلان ...

وشرعَا يحلَّان قيودَ بقية الشياطين، وفي أقل من دقيقة كان الآسيويون الأربعة مقيَّدين إلى مقاعد الشياطين بعد أن كمَّموا أفواههم ... هتف «عثمان» في حماس: دعونا نهاجم المختطفين قبل أن يستقلوا الطائرة الهليكوبتر مع الفتاة.

أحمد: لا ... سوف ندَعهم يُتمُّون مهمَّتَهم إلى النهاية.

حدَّق «عثمان» في «أحمد» مندهشًا، وأكمل «أحمد» مفسِّرًا: يجب أن نَصِل إلى الرءوس المدبرة لهذا العمل حتى نقطعَها فلا تعاود تكراره.

والتفت إلى «إلهام» و«ريما» و«خالد» قائلًا: فلتبقوا أنتم بداخل الطائرة ووجِّهوا رسالة باللاسلكي إلى السلطات المحلية لإنقاذ الطائرة وركابها ... أما أنا و«عثمان» فسنحاول تتبُّعَ المختطفين الأربعة ...

كادَت «إلهام» تحتجُّ فقاطعها «أحمد» قائلًا: إن مهمتكم لا تقلُّ أهميةً عن مهمتنا ... إن هؤلاء الركاب الثلاثمائة تحت مسئوليتنا.

هزَّت «إلهام» رأسَها في فهمٍ واقتناع، وأسرع «أحمد» و«عثمان» يغادران الطائرة من بابها الخلفي في سكونٍ، وساعدهم الظلامُ المنتشر بالخارج في ألَّا يُلاحظَهم المختطفون الأربعة ... وكانت الطائرة الهليكوبتر أمامهم على مسافة ثلاثين مترًا، وقد دفع المختطفون الأربعة «كاتي» إلى قلبها واستعدوا للصعود خلفها.

راح «عثمان» و«أحمد» يقتربان من الطائرة في حذر، حتى لم يَعُد يفصلهما عنها إلا أمتارٌ قليلة ... وأخذَت الطائرة تُدير مراوحَها استعدادًا للإقلاع.

تلفَّت «عثمان» حولَه بقلق متسائلًا: كيف سنتتبَّع الطائرة؟! إننا بحاجة إلى طائرة أخرى ولا يوجد هنا سوى السيارة الجيب ولا يمكنها اختراق الغابات وتتبُّع الطائرة.

وقبل أن يُجيبَه «أحمد» بردٍّ ما، كانت الهليكوبتر قد بدأَت الارتفاع ببطء ومراوحها تُثير عاصفةً من الهواء والتراب حولها ... وهتف «أحمد» بصوتٍ عالٍ ليسمعَه «عثمان»: ليس أمامنا إلا وسيلة واحدة ... اتبعني ...

وانطلق «أحمد» نحو الطائرة التي علَت إلى ارتفاع قامتهما، وأدرك «عثمان» خطةَ «أحمد»، وفي لحظة واحدة قفز الاثنان نحو قدمَي الطائرة وتعلَّقَا بها ... وارتفعَت بهما الطائرة مثل طائرِ رخٍّ كبير وهما معلَّقان بأسفلها ... وعلَت الطائرة في الفضاء حتى بدَت الغابات من أسفل مثل رقعة خضراء مغطاة بسواد الليل.

وشرعَت الطائرة تشقُّ طريقَها إلى وجهتها المجهولة دون أن يتنبَّهَ ركَّابُها إلى الحمولة البشرية بأسفلها.

ذو الوجه القبيح!

حلَّقَت الهليكوبتر وقتًا يزيد عن العشر دقائق ... وتصلَّبَت عضلاتُ «أحمد» و«عثمان» وهما متشبثان بأسفل الطائرة وقد وضعَا كلَّ قوتهما في أصابعهما التي انطبقَت كالكلابشات الحديدية تُمسك أسفل الطائرة. وكانت الأرض تحتهما تبدو أشبهَ ببقعة سوداء من رءوس الأشجار ... وكان مما يزيد من صعوبة تعلُّق الشياطين بالطائرة الرياح التي بدأَت تهبُّ بقوة منذِرةً بسيلٍ من الأمطار ...

وأخيرًا بدأت الهليكوبتر تهبط لأسفل وقد أضاءَت في مقدمتها كشافًا قويًّا أضاء الأرض تحتها لمسافة بعيدة وظهر على البُعد عدةُ أكواخ من أعواد البامبو القوية مقامة وسط الغابة في بقعة مكشوفة منها، وقد ظهر أمامها عدةُ أشباح مسلَّحين في ملابس الصاعقة ... هتف «أحمد» في «عثمان»: أعتقد أن الطائرة ستهبط في هذا المعسكر ... سوف نقفز منها حينما تقترب من الأرض لمسافة معقولة ...

أومأ «عثمان» برأسه موافقًا وهو يحسُّ بأصابعه تكاد أن تتحجر، وأن عضلات ذراعَيه تكاد تتمزق ... واصلَت الطائرةُ هبوطَها حتى صارَت بارتفاع الأشجار، فهتف «أحمد» في «عثمان»: الآن ...

وتأرجح «أحمد» بقوة دافعًا جسدَه إلى جهة اليمين وأفلتَ أصابعَه من الطائرة فسقط من ارتفاع يزيد على عشرة أمتار، وجاءت سقطتُه فوق بقعة لينة من الأرض مكسوَّة بالأعشاب فخفَّفَت من حدة سقوطه، وبعد ثانيتَين جاءَت قفزةُ «عثمان» بنفس الطريقة على مسافة عشرة أمتار من «أحمد» ... وزحف الاثنان مقتربَين من بعضهما، واختفيَا خلف بعض الأشجار على حين كانت الهليكوبتر أمامهما راحَت تهبط فوق البقعة المكشوفة داخل

المعسكر، وما إن حطَّت فوق الأرض وكفَّت مراوحها عن الدوران حتى أحاط بها عشراتُ الأشباح المسلَّحين في ملابس الصاعقة ...

وهبط زعيمُ المختطفين من الطائرة ونزع القناع عن وجهه، وعلى ضوء المعسكر انكشفَت للشياطين ملامحُه ... فهتف «عثمان»: إنه «جابريللو» زعيم منظمة «القبضة السوداء» الإرهابية والمسئولة عن كثير من أعمال العنف وخطْف الطائرات في العالم!

أحمد: لقد بدأَت الأمور تتضح قليلًا ... وإن كنت أشكُّ أن هناك آخرين يقفون خلف هذه العملية ...

قفز بقيةُ المختطفين من الطائرة ومعهم «كاتي» التي كانت ترتعش مثل ريشةٍ في مهبِّ الريح ... واتجه بعضُ الحراس الآسيويِّين في زيِّ الصاعقة نحو «جابريللو» ورجاله الثلاثة، فأخذوا أسلحتَهم، وحاول أحدُ رجال «جابريللو» الاعتراضَ ولكن إشارة حاسمة من يد زعيمه أوقفَت اعتراضَه ... واتجهوا جميعًا إلى أحد الأكواخ التي كان يقف على حراستها أربعةُ حراس آسيويِّين عمالقة تنطق وجوههم بإجرام لا مثيل له، ويتدلَّى من حزام في وسطِ كلٍّ منهم عددٌ من السيوف والخناجر، على حين كان يحمل كلٌّ منهم مدفعًا رشاشًا فوق كتفه.

وعندما همَّ «جابريللو» بدخول الكوخ أوقفه أحدُ الحراس الأربعة وقد أشهر مدفعَه الرشاش في يده تأهُّبًا ... وتقلَّصَت أصابع «جابريللو» غضبًا وارتعش الغضب في عينَيه ...

كان الموقف يُنذر بالخطر والتوتر وقد وضح أن «جابريللو» لم يكن يتوقع مثل تلك المعاملة من شركاء له، وامتدَّت قبضةُ «جابريللو» في لحظة خاطفة نحو فكِّ الحارس، وسدَّد له ضربةً هائلة، وتكوَّم الحارس فوق الأرض متألِّمًا، وفي نفس اللحظة انفجر الغضب في عيون زملائه الثلاثة فاستلوا سيوفهم الرهيبة وهجموا معًا نحو «جابريللو» ...

وأدرك «جابريللو» خطأه خاصةً أنه بلا سلاح، وقبل أن تستقرَّ السيوفُ الثلاثة الرهيبة في صدره أوقفَتها صرخةٌ غاضبة مزمجرة كزئير حيوان وحشي، وتوقَّفت السيوف الثلاثة في الهواء، واندفع شخص غليظ قصير ذو ملامح مكتنزة هادرة بالغضب، وامتدَّت يدُه لتصفع الرجال الثلاثة وتدفعهم في صدورهم بخشونة.

همس «أحمد» لـ «عثمان»: إن هذا الرجل القصير الغليظ هو «تشي يانج». لقد كان أحدَ زعماء العصابات، وقد قام بتشكيل عصابة خارجة على القانون، ثم تحوَّل إلى النشاط الإرهابي الدولي ... إنهم يُطلقون عليه اسمَ «ذو الوجه القبيح». ... وتذكَّر «عثمان» وجهَ الرجل على الفور؛ فقد طالع صورتَه في إحدى النشرات التي يُصدرها رقم «صفر» عن أشهر المنظمات الإرهابية في العالم.

تراجع الحرَّاس الآسيويون الثلاثة في صمت، وتقدَّم «تشي يانج» من «جابريللو» الذي أخذ يجفِّف عرقَه وهو يبتسم للإنقاذ العاجل، وتعانق الرجلان بشدة، وقال «جابريللو» ضاحكًا: إن رجالك لا يعرفون التفاهم يا ذا الوجه القبيح.

ضحك «تشي يانج» ضحكةً عالية وهو يقول: لو كانوا يعرفون التفاهم ما عاشوا حتى الآن أيها الصديق ... لقد تعلَّمنا أن نقتل أولًا ثم نتفاهم بعد ذلك.

وانطلق الاثنان في ضحكة عالية، والتفت «تشي يانج» نحو «كاتي» وراح يتأملها بابتسامة واسعة كريهة ارتسمَت فوق وجهه القبيح المنظر والذي كان مليئًا بالخدوش والجروح الغائرة القديمة الأثر مما يشي بالأهوال التي كابدها ولاقاها صاحبها.

وتمتم «تشي يانج» بإعجاب: إنها صيدٌ ثمين حقًّا! تستحق ما أُنفق من أجلها.

ومدَّ يدَه نحو شعر «كاتي» فتراجعَت في ذعرٍ شديد، وانطلق ذو الوجه القبيح ضاحكًا بشدة، وانقضَّ رجالُه على الفتاة فشلُّوا حركتها وبدَت في أيديهم مثلَ حمامة وديعة بين مخالب النسور. ارتعش «عثمان» من الغضب فأمسك «أحمد» بيده مهدِّئًا ... وتلاشَت ثورةُ «عثمان» وقال بتصميم وقد التمعَت عيناه بشدة: إنني لن أسمح لهم بإيذائها أبدًا ...

أحمد: ومَن قال إننا سنتركها فريسةً لهم ... وهم أيضًا لن يغامروا بإيذائها ... إنها ورقة رابحة في أيديهم للمفاوضات القادمة وليس من مصلحتهم إيذاؤها.

وشاهد «أحمد» و«عثمان» من مكانهما الإرهابيَّين وهما يتجهان إلى كوخ «تشي يانج» ... على حين اقتاد الحراس الآسيويون «كاتي» إلى كوخ آخر دفعوها بغلظة ثم أغلقوا بابَه ووقفوا على حراسته متأهِّبين، وأخذَت «كاتي» تدقُّ البابَ بشدة وهي تصرخ وتتوسل بلا فائدة حتى انهارَت تمامًا وارتمَت فوق فراش مصنوع من أعواد البامبو ومغطًّى بالأعشاب وأوراق الأشجار.

همس «عثمان» لـ «أحمد»: لا بد أن الإرهابيَّين يتباحثان الآن.

أحمد: هذا ما أعتقده ... ولا شك أنهما أبلغَا والدها بطريقة ما باختطافها، وأنهما لن يُعيداها قبل أن يلغيَ الرجلُ كافةَ اتفاقياته مع وطننا العربي.

تساءل «عثمان»: ولكن ما هو الثمن؟ ماذا سيستفيد «جابريللو» و«تشي يانج» من ذلك كله؟

أحمد: المال بلا شك ... إن «جابريللو» و«تشي يانج» لا يهمُّهما وطننا العربي في شيء، ولا بد أن إحدى الدول المعادية لنا هي التي استخدمَت عصابتَهما لإجهاض المشاريع

العربية، في حين تظلُّ هي بعيدةً عن الصورة تمامًا ... وبعد أن يؤديَ الإرهابيان وعصابتاهما مهمتَهما بنجاح ... فإنها ستدفع لهما عدة ملايين ولا شك.

همس «عثمان»: كان رقم «صفر» على حقٍّ في ألَّا نتدخل منذ البداية ونُفسد العملية ... إننا في كلِّ لحظة نكتشف شيئًا جديدًا، لا بد أن في الأمر سرًّا آخر لم نكتشفه ... وإن كنتُ مندهشًا كيف أنه يُغامر بترك ابنة المسئول الكبير في أيدي هؤلاء المجرمين؟!

أحمد: إن أعداءَنا على قدرٍ عالٍ من الذكاء والقوة هذه المرة ... واختيار «تشي يانج» لإخفاء الفتاة في هذه الغابات في معقل وجود العصابة يجعل مهمةَ استعادتها من أية جهة مستحيلة ... إنهم هنا خبيرون بأساليب حرب العصابات والتخفِّي.

هتف «عثمان» باحتجاج: إذا كانوا هم خبراء في حرب العصابات فنحن خبراء في القضاء على هذه العصابات!

ابتسم «أحمد» وأشار لـ «عثمان»، فراحَ الاثنان يقتربان محاذرَين من كوخ «تشي يانج» ... وتوقَّفا على مسافة عشرة أمتار منه ... وكان من المغامرة أن يتقدَّمَا أكثر من ذلك؛ فقد كانت الأضواء تملأ المكان، وهناك ما لا يقل عن عشرة حراس مدججين بالسلاح يطوفون حول المكان.

همس «أحمد» لـ «عثمان»: لا بد أن نعرف ما يدور بين الرجلين في الداخل.

عثمان: يجب الحصول على سلاح أولًا ... من الخطر الشديد المخاطرة بالاشتباك مع هؤلاء الحراس ونحن بلا سلاح.

فكر «أحمد» ثم قال: لديَّ فكرة ...

وأمسك حصاةً صغيرة ألقاها على الأرض لمسافةٍ أمامه واختبأ هو و«عثمان» خلف إحدى الأشجار القريبة، وكما توقَّع «أحمد»؛ فقد جذب انتباهَ أحدِ الحراس صوتُ سقوطِ الحصاة فاقترب محاذرًا، شاهرًا سيفه، وما إن صار على مسافة خطوتين من الشجرة التي يكمن خلفها «أحمد» و«عثمان» حتى قفز «أحمد» من مكانه وطار في الهواء وبضربة واحدة طار الحارس في الهواء واصطدمَت رأسُه بإحدى الأشجار وسقط بصوت مكتوم على الأرض.

لم تستغرق المعركة الصغيرة سوى ثلاثِ ثوانٍ ... ولم تجذب انتباهَ أيٍّ من الحراس، وسرعان ما كان «أحمد» يتسلَّح بالمدفع الرشاش، و«عثمان» يستولي على سيف الحارس ويتأمله بإعجاب، وقال وهو يتفحص نصلَه الحاد الرهيب: إن هذا السيفَ أحدُّ نصلًا من سيف «أبو زيد الهلالي».

ابتسم «أحمد» لـ «عثمان» وقال: سوف أتسلَّل إلى الكوخ زاحفًا على الأرض وعليك بانتظاري هنا.

ابتسم «عثمان» وهو يهزُّ رأسَه رافضًا، وقال: لا يا صديقي العزيز، وإلَّا فما هي فائدة بشرتي السوداء؟! سوف أكون قطعةً من الظلام، فلن يلمحني أحد ... إنها مهمتي أنا، وعليك بحمايتي بالمدفع الرشاش.

اقتنع «أحمد» برأي «عثمان» ... واقترب «عثمان» من الكوخ حتى صار على مسافة قريبة، فألقى بنفسه على الأرض وأخذ يزحف نحو الكوخ ببطء ومهارة فلم يلحظه أحدٌ من الحراس الذين كانت عيونهم تتجه للأمام وظهرهم لـ «عثمان»، وأخيرًا وصل «عثمان» إلى الكوخ فنهض برشاقة والتصق بظهر الكوخ وراحَت عيناه تدوران حول المكان ... لم يكن هناك مَن لاحظه ...

واقترب الشيطان الأسمر من نافذة مفتوحة في الكوخ، وألقى نظرةً حذرة من طرفها، فشاهد «جابريللو» و«تشي يانج» وهما منهمكان أمام جهاز إرسال واستقبال كبير أمامهما ... وصلَت الكلمات الإنجليزية واضحةً من جهاز الإرسال، وكانت من أحد أعوان «جابريللو» وهو يُخبرهم أنه تم إبلاغ المسئول الكبير في الدولة الأوروبية باختطاف ابنته، وأنه لن تتمَّ إعادتها حتى تُلغى اتفاقيات التعاون مع الدول العربية وبشرط أن يتمَّ ذلك في سرية تامة دون إبداء الأسباب، وأن المسئول وافقَ بعدَ أن أُصيبَ بذعر كبير.

انتهَت الرسالة وظهرَت السعادة على وجه زعيمَي العصابتَين الإرهابيَّتَين ... وقال «تشي يانج» بسعادة: إنه نجاح عظيم! إن هذا يثبِّت أقدامنا في عالمنا الصعب ... لسوف نتعاون كثيرًا في المستقبل ونقتسم الأرباح ... وانفجر الاثنان ضاحكَين، وتساءل «تشي يانج»: تُرى كم ستستغرق المفاوضات لتُسلَّم الفتاة إلى والدها؟

ردَّ «جابريللو» وهو يُشعل سيجارته: ليس قبل إلغاء الاتفاقيات ... إن الأمر قد يستغرق أسبوعًا أو أسبوعين.

ربَّت «تشي يانج» على كتف «جابريللو» بقلق: والطائرة؟

قال «تشي يانج» ضاحكًا: لقد أبلغنا السلطات المحلية برسالة مجهولة ولن يستطيعوا الوصول إليها قبل الصباح، وخلال هذه الفترة سيكون رجالنا الذين أرسلتهم منذ قليل قد قاموا باللازم ولن يتركوا دولارًا واحدًا أو حلية ذهبية مع أيٍّ من الركاب ... أما مَن يقاوم فإن رجالي سيُسعدهم تعليقُ المشاغبين من أقدامهم فوق رءوس الأشجار.

وانفجر ضاحكًا بشدة جزَّ «عثمان» على أسنانه غضبًا، وأحسَّ بالقلق على مصير الشياطين الثلاثة «إلهام» و«ريما» و«خالد» من أفراد عصابة «تشي يانج» المتوحشين الذين كانوا في طريقهم للاستيلاء على أموال الركاب وتعذيبهم.

تأهَّب «تشي يانج» لمغادرة الكوخ، فتحرَّك «عثمان» بسرعة ليبتعد عن المكان، وفجأةً أوقفه صوتٌ صارخ بلهجة لا يفهمها، والتفتَ «عثمان» بسرعة فشاهد أحدَ الحراس شاهرًا مدفعَه الرشاش نحوه، وجمد «عثمان» لحظة من المفاجأة واستوعب الموقفَ في ثانية واحدة، فألقى بنفسه على الأرض بعيدًا عن مكانه، في نفس اللحظة انطلق فيها سيلٌ من الرشاش نحو مكانه الأول، وقفز «عثمان» واقفًا وطار في الهواء وجذب الحارسَ بقدمه فطوَّح به بعيدًا، وبرز حارسان آخران قبل أن يتمكن «عثمان» من العَدْو نحو الغابة والاختفاء فيها، وعلى الفور استلَّ «عثمان» مدفعَ الحارس وصوَّبه نحو الحارسَين وأطلق الرصاص، وترنَّح الحارسان في نفس اللحظة التي شعر «عثمان» أن خبطة شديدة جاءَت من خلفه، وترنَّح «عثمان» على أثرها واستدار للخلف بعد أن سقط مدفعُه الرشاش فشاهد أحدَ الحراس مصوِّبًا مدفعَه نحوه، وقبل أن يضغط الحارس على زناد المدفع شقَّ الهواءَ صوتُ أزيز سيف حاد برز نَصْلُه واخترق صدرَ الحارس.

كانت رمية موفقة من «أحمد» …

وعلى الفور التقط «عثمان» مدفعَه واندفع يجري نحو الأشجار، وانطلقَت عشراتُ الطلقات خلفه وتعالَت أصوات الصيحات والصرخات الغاضبة، ولحق «أحمد» بـ «عثمان» الذي هتف به: دَعْنا نختبئْ داخل الغابة. وصادفهما أحدُ الحراس فكانت قبضةُ «أحمد» أسرعَ منه، فترنَّح الحارس إلى الخلف واختطف «أحمد» مدفعَه الرشاش وعاجل الحارس بضربة منه أسقطَته غائبًا عن الوعي … وانطلق الاثنان يعدوان والطلقات خلفهما تصطدم بالأشجار وأصوات الأقدام المطاردة من الوراء تسحق الأرض والأغصان الجافة والأعشاب.

قطع «عثمان» و«أحمد» مسافةً وهما يجريان للأمام مباشرةً محاذرين أن ينحرفَا في أيِّ اتجاه آخر وإلا ضلَّا طريقَهما وسطَ الغابة واستحالَت عودتهما للمعسكر مرة أخرى.

وتوقَّف الاثنان بعد مسافة لاهثَين ووقفَا يتنصتان … لم يكن هناك أيُّ أثرٍ لمطاردتهما …

هتف «أحمد» بضيق: كان من سوء الحظ اكتشافنا … إن هذا سيُصعب مهمتَنا كثيرًا؛ فهم لن يكفوا عن مطاردتنا أبدًا وسيصعب علينا إنقاذ «كاتي».

وفي كلمات قليلة أخبره «عثمان» بما سَمِعه داخل الكوخ، فقال «أحمد» في غضب: إذن علينا إنقاذ «كاتي» مهما كان الثمن حتى لو كانت حياتنا … إنها لن تكون أكثرَ أهمية من

تلك المشاريع التي سيفقدها عالمنا العربي لو لم نُنقذ الفتاة من مختطفيها ونُعيدها إلى والدها.

هزَّ «عثمان» رأسَه موافقًا ... وقبل أن يتحرك الاثنان ظهر أمامهما أربعةٌ حراس وقد صوَّبوا كشافاتِهم المبهرة نحو «عثمان» و«أحمد» ... وعلى الفور قفز الشيطانان، «أحمد» إلى اليمين و«عثمان» إلى اليسار ليحتميَ كلٌّ منهم خلف شجرة كبيرة في نفس اللحظة التي انطلق فيها نحوهما سيلٌ من الرصاص ...

وما إن كفَّ إطلاق الرصاص حتى نظر «أحمد» و«عثمان» أمامهما بحذرٍ من خلف الشجرتَين ... لم يكن هناك أيُّ أثر للحراس الأربعة الذين ظهروا فجأةً واختفَوا فجأةً كأنهم سقطوا من السماء ثم ابتلعَتهم الأرض! وأدرك الشيطانان أن الحراس يمارسون معهم حربَ عصابات ذات تكتيك عالٍ، وأن الخطر يَحدِق بهما من كلِّ اتجاه، برغم الهدوء الخادع الذي كان يسود المكانَ حولهما.

غابة الموت!

اقترب «أحمد» من «عثمان» ... وأعطى كلٌّ منهما ظهرَه للآخر وقد استعدَّا بمدفعَيهما الرشاشَين، وراح الاثنان يدوران حولهما وهما يتفحصان كلَّ شبر في المنطقة المحيطة حولهما ... ولكن لم يكن هناك غيرُ الظلام والسكون.

همس «أحمد»: إنني أحسُّ أن الخطر ... قريب جدًّا.

ولم يكَد يُتمُّ عبارتَه حتى تحققَ ظنُّه على وجه السرعة ... فقد قفزَت ثلاثةُ أشباح من أعالي الأشجار أمام الشياطين، واندفعَت نحوهم الأشباحُ الثلاثة حاملين سيوفًا ذات نصال رهيبة وهجموا على الشيطانَين، وكانت حركةُ الأشباح من السرعة والمباغتة بحيث إن «أحمد» و«عثمان» لم يُتَح لهما الاستعداد لإطلاق الرصاص، وعلى الفور تحاشَى «أحمد» ضربةَ السيف التي شقَّت الهواءَ نحوه فانحنى لأسفل، ثم عاجل أحدَ الأشباح بضربةٍ عنيفةٍ أطاحَت به للوراء ... وصدَّ «عثمان» ضربةَ الشبح الثاني بمدفعه الرشاش، وانفجر صوتُ صليلِ المعدن عندما سقطَت ضربةُ السيف بعنفٍ فوق ماسورة المدفع في الليل الساكن، وبسرعةٍ أطاح «عثمان» السيفَ بضربةٍ من مؤخرةِ مدفعِه، ثم انطلقَت ضربةٌ كالعاصفة نحو الشبح فسَمِع صوتًا مكتومًا وارتطامَ جسدِه بالأرض.

أما الشبح الثالث فقد انطلقَت دفعةُ رشاش من «أحمد» نحوه ... وما كاد «أحمد» يتوقف عن إطلاق الرصاص الذي شقَّ سكونَ الليل حتى عاد الهدوء يسود المكان.

وبحث «أحمد» و«عثمان» عن الأشباح الثلاثة حولهما ... ولكن لم تكن هناك أية آثار لهم، ولا حتى آثار دماء ... كأنما كانوا أشباحًا وهمية لا وجود لها ... هتف «عثمان» بسخط: هؤلاء الملاعين ... إنهم بارعون حقًّا!

ابتسم «أحمد» في الظلام ابتسامةً واسعة ... كان دائمًا يعشق القتال المتكافئ الذي يُواجه فيه عدوًّا على قدرٍ كبير من المهارة؛ فهكذا يكون القتال.

التفت «أحمد» لـ «عثمان» قائلًا: لقد جاءوا مرة من الأمام ثم من الخلف ... ومرة سقطوا من السماء ... ترى كيف سيظهرون المرة القادمة؟!

ردَّ «عثمان» ساخطًا: لم يتبقَّ سوى أن يخرجوا لنا من جوف الأرض.

وفجأةً صرخ «أحمد»: حاذر يا «عثمان» ... وفي أقل من جزء من الثانية قفز «أحمد» نحو «عثمان»، وأمسك به من وسطه وسقط الاثنان على الأرض في نفس اللحظة التي اندفع فيها حائطٌ خشبي من فوق الأرض قد ثبتَت فيه أوتادٌ حادة قاتلة، ولولا حركة «أحمد» لانغرزَت الأوتاد الرهيبة في جسد «عثمان» وقتلَته في الحال.

وقف «عثمان» و«أحمد» وهما يلهثان ... وأدركَا أنهما في غابة للموت بالفعل، وأن كلَّ خطوة يخطوانها داخلها تحمل في جوفها خطرًا رهيبًا بوسائل لا تخطر على بال.

قال «عثمان»: هذه الغابة مليئة بالفخاخ!

نظر «أحمد» حوله متفحصًا المكان وهو يقول: يبدو أنهم غيرُ متعجلين موتنا ... ولعلهم يريدون بعضَ التسلية أولًا ...

لوَّح «عثمان» بمدفعه الرشاش في غضب وهو يقول: حسنًا ... سأجعلهم يتسلون عندما يذوقون طعم رصاصاتي فيقفزون على الأرض كالقردة.

وتوقَّف الاثنان يرهفان السمعَ بآذان كآذانِ الأرانب، ويتفحصان الظلام حولهما بعيون كعيون القطط ... لكن المكان شمله الهدوء والصمت ... حتى حيوانات الغابة وطيورها كفَّت عن إصدارِ أيِّ صوت كأنها حبسَت أنفاسها ترقُّبًا للحظات القادمة ... تمتم «أحمد» بصوت خفيف: إنه الهدوء الخادع ... كالهدوء الذي يسبق العاصفة ...

وجاءَت العاصفة في نفس اللحظة ... فقد شقَّ الهواءَ أزيزُ سهمَين أطلقَتهما يدٌ من مكان ما ... والتقطَت آذانُ الشيطانَين صوتَ الأزيز فقفزَا بعيدًا ... وقبل أن يتمالك الاثنان نفسَيهما ويحتفظان بتوازنهما، كانت هناك كتلتان من الأشجار الضخمة تسقط من أعلى، ولولا أن تدحرجَا في الوقت المناسب لسحقتهما كتلتَا الأشجار، وما كاد «أحمد» و«عثمان» يُفيقان من المفاجأة الثانية حتى أحسَّا بحبلَين سقطَا من مكان ما، والتفَّ كلٌّ حبلٍ حول وسطَيهما.

وأدرك «عثمان» و«أحمد» ما سيحدث لهما ... وعلى الفور ارتفع الحبلان بهما ليتعلق الشيطانان في الهواء، وتحرَّكَت حربتان كبيرتان وانطلقتَا نحو الشيطانَين، وصرخ «عثمان» في «أحمد» محذِّرًا، وعلى الفور تحرَّك الشيطانان ... كانت المسافةُ بينهما وهما معلَّقان في الهواء لا تزيد عن متر، وتحرَّك «عثمان» و«أحمد» بسرعة بالغة ليتصادمَا معًا، ودفع كلٌّ

منهما الآخرَ بعيدًا في نفس اللحظة التي مرقَت فيها الحربتان أمامهما وحفَّت كلٌّ منهما ملابسَ الشيطانَين ... وعلى الفور أطلق «أحمد» دفعةَ رشاش من مدفعه نحو الحبال فانقطع الحبلان وسقط «أحمد» و«عثمان» فوق الأرض.

وزحف الاثنان بسرعةٍ ليختفيَا خلف أقرب الأشجار لهما ... وعاد السكون والهدوء يشمل المكان من جديد ... كان صدرُ «أحمد» و«عثمان» يعلو ويهبط بشدة ... كانت الليلةُ حافلةً بالمفاجآت بالفعل ... وصدر من حولهما حفيفٌ قليل، كأنه صوتُ أشخاص يقفزون بين الأشجار في رشاقة ... ولم يستطع «عثمان» أن يكتم غضبَه أكثر من ذلك، فهتف بغضب بالغ: فلتظهروا أيها الجبناء ... دعونا نواجهكم رجلًا لرجل ...

وجاء صوتٌ من الأمام ... وتحرَّك «عثمان» بسرعةٍ مصوِّبًا رشاشَه بغضب شديد وهو يُطلق رصاصًا منهمرًا ... وفجأةً كفَّ رشاش «عثمان» عن إطلاق الرصاص ... وفي اللحظة التالية انشقَّت الأرض من تحت أقدامه ولم يحسَّ بنفسه إلا وهو يسقط في حفرة عميقة داخل الأرض، ومن أعلى عادَت الأرض لتتغطَّى ببعض الأعشاب وجذوع الشجر الزائفة لتغطِّيَ الحفرة.

أخذ «عثمان» يصرخ مناديًا «أحمد» ... وحاول تسلُّقَ جدرانِ الحفرة ولكنها كانت ملساء لزجة عالية الجدران يستحيل الخروج منها.

لم يشاهد «أحمد» ما حدث لـ «عثمان» بسبب الظلام ... وكل ما سمعه كان صوتًا مكتومًا كسقوط شخص في مكان سحيق ... وأصوات نداءات ولكنها تأتي من بعيد ... كأنها صادرة من جوف الأرض ... تحرَّك «أحمد» بحذر في خفة النمر ... كان يُدرك أن الخطرَ كامنٌ هناك في مكان ما حوله ... ربما بأعلى أو بأسفل أو على اليمين أو اليسار ...

وفجأةً أحسَّ أن الأرض تنسحب من تحته ... وبسرعة ألقى بنفسه نحو حافة الحفرة التي ظهرَت تحته فجأة، ولكن الحافة كانت ملساءَ لزجة؛ فسقط «أحمد» بداخلها.

التفت «عثمان» مذهولًا وهو يشاهد «أحمد» يسقط أمامه، وكانت العتمةُ تسود الحفرة بعد أن غطَّتها الأعشاب والأغصان من أعلى بطريقة أتوماتيكية.

همس «عثمان» لـ «أحمد»: هل أصابك مكروه؟

ابتسم «أحمد» برغم الموقف السيِّئ وقال: من المؤسف أن بقية الشياطين بعيدون عنَّا وإلا لكان لنا هناك موقفٌ آخر مع هؤلاء الأشباح!

قال «عثمان» بسخط: لقد تدربنا في المركز الرئيسي على حرب العصابات.

أحمد: هذا صحيح ولكننا نُواجه أشخاصًا تدربوا عليها لسنوات طويلة.

فجأةً أحسَّ الشيطانان بحركة من أعلى، وانكشفَت فُتحةُ الحفرةِ عن وجهٍ غامضِ الملامح يُطلُّ نحوهما، وأمسك «أحمد» بمدفعه تأهُّبًا، وجاء صوتٌ هامسٌ من أعلى يقول: لا تخشيَا شيئًا.

تعجَّب «أحمد» و«عثمان»! كان الصوتُ نسائيًّا، وكان قريبًا من صوت «إلهام»، فهل يمكن أن تكون تلك الشيطانة البارعة تمكَّنت بطريقة ما من الوصول إليهما لإنقاذهما؟!

وسقط حبلان من أعلى، وعلى الفور تسلَّقهما «أحمد» و«عثمان» صاعدَين ... وبأعلى كانت بانتظارهما مفاجأةٌ مذهلة ... كانت منقذتهما هي «كاتي» ابنة المسئول الكبير ... وقد حملَت مدفعًا رشاشًا ...

حدَّق «عثمان» و«أحمد» في الفتاة غيرَ مصدِّقَين، وقال «عثمان» بدهشة عظيمة: أنتِ؟! كيف هربتِ من هؤلاء الإرهابيين؟!

وأكمل «أحمد» بنفس الدهشة: وكيف استطعتِ الوصول إلى هنا ومعرفة مكاننا؟!

قالت «كاتي» بابتسامةٍ غامضة: لقد تعقبتُكما منذ بدأ رجال «تشي يانج» مطاردتكما ... وأدركتُ أنكما ستحتاجان إلى بعض المساعدة مني ... وأمْر فراري من الكوخ الذي حبسوني فيه كان سهلًا؛ فقد تدرَّبتُ على ما هو أصعب منه عشرات المرات ... وببطء انتزعَت «كاتي» شيئًا من فوق وجهها ... وعلى الضوء الخافت بانَت لهما الحقيقة المذهلة ... كان وجهُ الفتاة المليء بالنمش ليس إلا طبقة من الجلد تُخفي تحتها وجهًا أسمر لوَّحَته الشمس وظهرَت تقاطيعُه؛ ملامح فتاة مناضلة من طراز فريد ...

هزَّ «عثمان» رأسَه بدهشة قائلًا: إنني لا أفهم شيئًا!

ببطءٍ قال «أحمد»: أظن أنني قد بدأتُ أُدرك الحقيقة ... لقد قام رقم «صفر» بتبديل «كاتي» الحقيقية بأخرى تابعة لمنظمتنا ... وقام بتسهيل اختطافها للإرهابيين فلم يضَع حراسة بالطائرة.

قالت الفتاة: هذا صحيح تمامًا ... كان يجب القيام بخدعة فلم يكن من الممكن المغامرة بإرسال «كاتي» الحقيقية ليختطفها الإرهابيون، وكان عليَّ أن أتظاهرَ بأنني «كاتي» إلى أن أصلَ إلى معسكر الأعداء ثم أنضمُّ إليكما ونكون جبهة واحدة لمواجهة هؤلاء الإرهابيين والقضاء عليهم ... إنكما تستطيعان أن تُناديانى باسم «سونيا».

التمعَت عينَا «عثمان» وهتف بإعجاب شديد: يا إلهي! إن رقم «صفر» رجل بارع حقًّا! إنها إحدى المفاجآت التي لا يمكن أن أنساها في حياتي ... لقد قام بخديعة الإرهابيين الذين يُجرون مفاوضات ويظنون أن خطتهم تسير وفقًا لرغباتهم ولا يعرفون أننا نجرُّهم إلى نهاية شرهم الرهيب!

وعلَت ضحكتُه في قلب الليل الصامت لتعبِّر عن سعادته ... وفجأةً توقَّف «عثمان» عن الضحك عندما تناهَى إلى أسماعهم أصواتٌ تقترب، وعلى الفور شهرَ «أحمد» و«سونيا» مدفعَيهما الرشاشَين متأهبَين نحو مصدر الصوت ...

ولكن المفاجأة جاءت من مكان آخر ...

فمن مكانٍ ما انطلق الإرهابيون في مهارة عجيبة ليختطفوا مدفعَي «أحمد» و«سونيا»، على حين أطبقَت عليهما شبكةٌ كبيرة سقطَت فوقهما وشلَّت حركتهما.

وظهر «تشي يانج» أمامهم وخلفه عشرةُ حُرَّاس عمالقة مدجَّجين بالسلاح ... وكان في عينَي الإرهابي المدعو «ذو الوجه القبيح» نظرةٌ رهيبة!

فرسان القرون الوسطى!

كان الفجر يُوشِك على البزوغ ... وكانت «إلهام» و«ريما» و«خالد» قد قاموا بمهمتهم في تهدئة ركاب الطائرة ورفْع روحهم المعنوية، ونشطَ مضيفو ومضيفات الطائرة في توزيع الطعام على الركاب، على حين كان الآسيويون الأربعة مقيَّدين في مقاعد الطائرة يُشرف «خالد» على حراستهم ... وأثمرَت اتصالاتُ «إلهام» باللاسلكي في إبلاغ المسئولين بمكان الطائرة وجاءها الردُّ أن الإنقاذ العاجل سيأتي في الصباح لنقلِ الركاب إلى أحد مطارات فيتنام، ومحاولة الطيران بالطائرة الجامبو العملاقة وهي فارغة؛ فقد كانت تلك المحاولة خطرةً بسبب ضيق المطار الذي هبطَت فيه الطائرة وسط الغابات، وكان من المستحيل المغامرة بحياة الركاب ومحاولة الإقلاع بالطائرة بحمولتها الكبيرة من الركاب.

ألقَت «إلهام» نظرةً على ساعتها ... فكانت الرابعة فجرًا ... والتفتَت إلى «ريما» قائلةً بقلق عظيم: إنني في أشد القلق على مصير «عثمان» و«أحمد» ...

قالت «ريما» تُطمئنها: لا تخشَي شيئًا ... إنهما أفضل مَن يواجه المخاطر والمآزق ...

ردَّت «إلهام» بقلق أشد: ولكن هذه الغابات ... إنها أشبهُ بمصايد قاتلة وهؤلاء الرجال من العصابات كالحيوانات المتوحشة ... ليتنا نستطيع أن ننطلق للمساعدة ... من المؤسف أننا لن نستطيع الحركة قبل أن نترك ركاب الطائرة في أيدي أمينة!

فجأةً لاحَ على البعد أضواءُ سيارتَي جيب قادمتَين فهتفَت «ريما» بسعادة: لقد وصل الإنقاذ والمسئولون.

ولكنَّ «إلهام» أمسكَت بيد «ريما» وهتفَت بها في قلق وهي تتطلع نحو الأشباح العشرة التي قفزَت من سيارتَي الجيب وهمسَت لها: إنهم تابعون للإرهابيين ... إن ملابسهم وأسلحتهم تؤكِّد ذلك. وعلى الفور قفزَت الاثنتان نحو باب الطائرة واختفيتَا خلفه من

الداخل ... وبلغةِ الإشارات تفاهمَت الشيطانتان على ما ستفعلانه، على حين تسلَّح «خالد» بأحد سيوف الإرهابيين، وحبس الركابُ أنفاسَهم خوفًا وهلعًا ...

وأطلَّ أولُ الإرهابيين برأسه داخل الطائرة، وما كاد يخطو داخلًا حتى امتدَّت يدُ «إلهام» إليه بضربةٍ عنيفة أطاحَت به إلى مقدمة الطائرة، على حين عاجلَته ضربةٌ قوية من «ريما» أطاحَت به إلى مؤخرة الطائرة بلا حَراك ... وأطلَّ الإرهابي الثاني بدون أن يفطن إلى الخطر، وفي هذه المرة تهاوَت ضربةٌ من قبضة «خالد»، وأكملَت عليه ضربةٌ خطافية من «إلهام» وضربَته «ريما»، وتكوَّم الإرهابي بجوار زميله.

وظهر الإرهابي الثالث شاهرًا سيفَه بعد أن أدرك أن هناك ما يُريب في الطائرة ... وأطلَّ بحذر خلف باب الطائرة فلم يجد شيئًا ... وقبل أن يخطوَ داخلًا سقط «خالد» فوقه بقوة، وسقط الاثنان فوق الأرضية، وأمسك «خالد» بالإرهابي وضربَه بعنف حتى غاب عن وعيِه ... وتصايح الإرهابيون السبعة في الخارج وقد وصل إليهم أصواتُ الصراع، واندفعوا على الفور نحو باب الطائرة.

وهتف «خالد» في «إلهام» و«ريما»: دعونا ننقل القتال إلى خارج الطائرة حمايةً لركَّابها ... وقفز الثلاثة إلى الخارج مسلَّحين بسيوف الإرهابيين. وأطلَّ ركاب الطائرة من نوافذها في رعبٍ طاغٍ وهم لا يصدِّقون أن ذلك الشاب وهاتين الفتاتَين يمكنهم أن يصمدوا في قتالٍ ضد أولئك الإرهابيين. واندفع الإرهابيون السبعة شاهرين سيوفَهم وهم يصرخون صرخاتٍ مفزعةً نحو الشياطين الثلاثة ... وبدأَت المعركة.

كانت فنون القتال بالسيف إحدى الفنون التي تعلَّمها الشياطين في مركز التدريب السري، وكانت «إلهام» تعشق هذا الفنَّ ومن أبرع الشياطين في استخدام السيف ... وها هي فرصتُها قد جاءَت لتجرِّب مهارتها ... ومثل فرسان القرون الوسطى اندفعَت «إلهام» تسبق «ريما» و«خالد» ... وتُقاتل بنصل سيفها مع أول الإرهابيين ... وبحركة مباغتة أطاح سيفُها بالإرهابي الثاني الذي لم يتوقع ضربتَها، وسقط الاثنان على الأرض بلا حَراك.

واندفع «خالد» و«ريما» إلى المعركة ... وسقط إرهابيان آخران ... وقبل أن تكتمل خمس دقائق على بدء القتال كان الإرهابيون جميعًا ملقَين على الأرض وهم يئنُّون من جراحهم.

ورفعَت «إلهام» يدَها بعلامة النصر، واندفع الركابُ نحو الشياطين الثلاثة في فرحة غامرة، يُقبِّلونهم ويهنِّئونهم. وأخيرًا لاحَت أنوارُ الصباح ... وشقَّت الغاباتُ إليهم عددًا

كبيرًا من سيارات الجيب الحكومية، وعددًا كبيرًا من المسئولين ورجال الجيش والشرطة ... وفي كلماتٍ مختصرة قصَّ «خالد» على المسئولين ما حدث للطائرة واختطاف «كاتي». وبدأ المسئولون ورجال الجيش في ترحيل الركاب تحت حراسة مشددة ...

والتفت «خالد» إلى «إلهام» و«ريما» قائلًا: لقد انتهَت مسئوليتنا عن الركاب ... يجب أن نلحق بـ «أحمد» و«عثمان» بسرعة؛ فإنني أحسُّ أنهما في مأزق.

قالت «ريما» بحيرة: ولكن كيف ستعرف مكانهما في وسط هذه الغابات؟!

وفي هذه اللحظة دقَّ جهازُ الاستقبال في جيب «إلهام»، وكانت كلماتُ رقم «صفر» واضحةً وهي تصفُ لهم مكانَ «أحمد» و«عثمان»، وتشرح لهم المهمة التي يتعيَّن عليهم القيام بها في التوِّ!

وقف «تشي يانج» و«جابريللو» يُحدقان بعيون نارية في «أحمد» و«عثمان» و«سونيا» الذين تم تقييدهم بقيود حديدية إلى حائط كوخ «تشي يانج».

وأمسك «ذو الوجه القبيح» بشعر «سونيا» وراح يجذبه في عنف وهو يقول: أيتها الماكرة المخادعة، لقد خدعتِنا وأفسدتِ خطَّتَنا ... أُقسم لأنتقم منكِ أشدَّ الانتقام لأجعلَ مَن أرسلوكِ إلى هنا يعضُّون أظافرَهم ندمًا على خديعتهم لنا.

وحدق «جابريللو» في «أحمد» و«عثمان» بنظراتٍ طويلة وقال لهما: مَن أنتما؟ وما الذي أتى بكما إلى هنا؟

صاح «تشي يانج» بغضب شديد: إنهم مجموعة واحدة بلا شك ... لقد أضاع علينا هؤلاء الشياطين ملايين الدولارات، وسوف تنخفض أسعارنا وسُمْعتنا في السوق لهذه الخديعة التي جازت علينا.

وصرخ بصوتٍ عالٍ: لسوف أنتقم منهم هم الثلاثة أشدَّ انتقام ... سوف أعلِّقكم بالحبال تحت رءوس الأشجار لتحرقَكم الشمس وتلتهمَكم النسور وأنتم أحياء ... وسأجعلكم تتمنَّون الموت لأنه سيكون أرحمَ من عذابكم. وصرخ في رجاله فاندفع عشرةُ مقاتلين نحو «أحمد» و«عثمان» و«سونيا»، وراحوا يحلُّون قيودَهم ودفعوهم إلى الخارج.

كان ضوء الصباح قد أشرق تمامًا ... وكان هناك عمودان كبيران من الصلب قد أُقيمَا في وسط المعسكر وشَدَّ إليهما حبلًا قويًّا تمتدُّ منه ثلاثة خطاطيف قوية لتعليق كلٍّ من الشيطانَين وزميلتِهما في الحبال حيث يُترَكون معلَّقِين من أقدامهم على ارتفاع عشرة أمتار ...

تفاهم «أحمد» و«عثمان» بنظراتهم ... كانت تلك هي فرصتهما الأخيرة ... وبرغم أن الأمل يكاد يكون معدومًا فيها، إلا أنهما لا يمكن أن يتركَا تلك الفرصة تضيع أبدًا ...

اقترب الحرَّاس بـ «أحمد» و«عثمان» و«سونيا» من عمودَي الصلب وهم يصوِّبون مدافعَهم الرشاشة نحوهم ... واندفع ثلاثة حراس لربطِ أقدام «أحمد» و«عثمان» و«سونيا» بالحبال المدلاة من أعلى. وصاح «أحمد» في «عثمان»: الآن ... وعلى الفور انقضَّ الاثنان نحو حارسَين من حرَّاسِهما وكبَّلَا حركتَهما، وفي نفس اللحظة انطلق سيلٌ من الرصاص من بقية الحراس نحو الشيطانَين، ولكن الرصاصات كلها استقرَّت في جسدَي الحارسَين اللذَين احتمى الشيطانان خلفهما ...

وعلى الفور قفزَت «سونيا» في الهواء برشاقة بالغة وصوَّبَت ضربةً قوية لأحدِ الحراس الذي ترنَّح إلى الخلف، والتقطَت «سونيا» مدفعَه الرشاش وألقَت بنفسها على الأرض وهي تُطلق سيلًا من الرصاص حتى أصاب الحراسَ بالذعر، فأُصيب بعضُهم وتفرَّق الآخرون هاربين ... واندفع «أحمد» و«سونيا» نحو الأشجار القريبة يحتمون بها ...

وهتف «عثمان» بسخط: لقد عُدْنا لتلك الغابة الملعونة مرة أخرى!

أحمد: إننا بحاجة إلى مساعدةٍ من بقية الشياطين ... إن عدد الإرهابيين هنا يزيد عن المائة!

صاح «عثمان» بغضب: سأقاتل إلى آخر لحظة.

واندفع عددٌ كبير من الإرهابيين نحو الغابة فجاوبَتهم طلقاتُ «سونيا» بصوتٍ مدوٍّ ... وسرعان ما تفرَّق الإرهابيون وهم يُطلقون رصاصهم نحو الفتاة والشياطين ... وتوقَّف مدفع «سونيا» عن إطلاق الرصاص، وضاقَت عيناها وهي تقول: لقد نفد الرصاص ... سوف نُقاتلهم بأظافرنا!

وفي تلك اللحظة أحاط بهم عشرةٌ من الإرهابيين شاهرين مدافعهم الرشاشة على شكل دائرة كان يستحيل على «أحمد» و«عثمان» و«سونيا» اختراقهم ... ولكن فجأةً دوَّى في المعسكر على البعد أصواتُ انفجارات هائلة وطلقات رصاص متتابعة، وأدرك «أحمد» و«عثمان» أن الإنقاذ العاجل من بقية الشياطين قد جاء أخيرًا ...

واندهش الإرهابيون لحظةً يسيرة! وتطلَّعوا بأبصارهم نحو معسكرهم على البعد، وكانت هذه اللحظة كافيةً لـ «أحمد» و«عثمان» ...

وعلى الفور تشابكَت أيديهم مع «سونيا»، وقفزوا ثلاثتهم لأعلى في نفس اللحظة التي أطلق فيها الإرهابيون رصاصَهم بلا وعيٍ بدون أن ينتبهوا إلى أنهم سيُصيبون أنفسهم وهم واقفون على شكل دائرة ... وتساقط الإرهابيون قتلى ومصابين برصاص بعضهم!

والتقط «عثمان» و«أحمد» و«سونيا» ثلاثةَ مدافع رشاشة من الإرهابيين القتلى، واندفعوا نحو المعسكر ... كانت الانفجارات لا تزال تدوِّي بداخله، وشاهد «أحمد» طائرةَ

الشياطين الصغيرة التي تقودها «إلهام» وهي تنقضُّ على الإرهابيين وتُسقط قنابلَها فوقهم، على حين كانت رصاصات «ريما» و«خالد» تحصدهم حصدًا من داخل الطائرة ...

وصرخ «تشي يانج» يطلب من رجاله استخدامَ صواريخ «البازوكا» ضد الطائرة المهاجمة، واندفع أحد الإرهابيين خارجًا من أحد الأكواخ حاملًا صاروخًا فوق كتفه وصوَّبه نحو الطائرة وهو يحتمي خلف إحدى الأشجار ليحتميَ من إطلاق الرصاص عليه، وعلى الفور قفز «أحمد» قفزةً هائلة نحو الرجل، وسقط فوقه في نفس اللحظة التي ضغط فيها الإرهابي على الزناد فطاشَت الطلقة الصاروخية واندفعَت إلى قلب المعسكر واصطدمَت بكوخ «تشي يانج» وانفجرَت بصوت رهيب فدمرَت قلبَ المعسكر تمامًا ...

واندفع الإرهابيون في ذعر هائل ... وقابلهم «أحمد» و«عثمان» و«سونيا» من أسفل برصاصهم على حين أمطرَتهم طائرةُ الشياطين بالقنابل.

واشتعلَت الحرائق في المعسكر، واندفعَت فلولُ الإرهابيين رافعين أيديهم في استسلام وانبطحوا على وجوههم وقد وضعوا أذرعتَهم خلف ظهورهم، وسرعان ما كان الشياطين يسيطرون على المعسكر بالكامل ... وهبطَت طائرةُ الشياطين وخرج منها «خالد» و«إلهام» و«ريما» وانضموا إلى الباقين ... وكانت جثث «جابريللو» ورجال عصابته الثلاثة ملقاةً على الأرض بعد أن أصابها الرصاص ... أما «تشي يانج» فقد اختفى ولم يكن له أيُّ أثر ...

واندفع الشيطانان «عثمان» و«أحمد» يفتِّشان عن «تشي يانج»؛ فقد كانَا يريدان الحصول عليه حيًّا، وبرز لهما «تشي يانج» من داخل أحد الأكواخ المشتعلة وقد ظهرَت عليه آثارُ الحروق والجروح ... ووقف «تشي يانج» يُحدق في الشيطانَين بعينين واسعتين دمويَّتَين، وضغط على شيء في يده، وعلى الفور أدركَت «إلهام» ما يفعله الإرهابي فصرخَت في «أحمد» و«عثمان» ...

وقفز «عثمان» و«أحمد» في اللحظة المناسبة وألقيَا بنفسَيهما على الأرض عندما انفجرَت القنبلة التي كان يحملها «تشي يانج» وأراد أن يقتل بها الشيطانَين معه.

وتمزَّقَت جثةُ «تشي يانج» وأسرعَ بقيةُ الشياطين نحو «أحمد» و«عثمان» يطمئنون عليهما ... كان كلَّ ما أصابهما جراحٌ خفيفة ...

وسأل «أحمد» «إلهام»: كيف استطعتم الوصول إلينا في الوقت المناسب؟!

ردَّت «إلهام»: لقد وصلَتنا رسالة من رقم «صفر» أخبرَنا بمكانكما كما أرسل لنا إحدى طائراتنا المقاتلة.

ابتسم «عثمان» وأخذ يشرح لـ «إلهام» و«ريما» و«خالد» كلَّ ما مرَّ بهم والخدعة التي قامَت بها «سونيا». رمقَت «إلهام» «سونيا» بإعجابٍ ... بينما ضحك «أحمد» طويلًا ... وفي

لحظاتٍ كانت طائرة الشياطين تضمُّهم جميعًا وتُحلِّق بهم فوق المعسكر الإرهابي الذي تحوَّل إلى كتلة من اللهب، وقُتل كلُّ أفراده، وتم أَسْرُ الباقين الذين اندفعَت قواتُ الجيش لتقبضَ عليهم بلا مقاومة.

وكانت رسالةُ «إلهام» إلى رقم «صفر»: «انتهَت المهمة بنجاح، وتم تنظيفُ إحدى البؤر الإرهابية العالمية ... ليحيَا الوطن العربي ولن يمسَّه أيُّ مخلوق بأذًى، ما دام الشياطين على قيد الحياة.»

انتهت الرسالة!

هنـــداوي